

رسالة إلى الزميل الدكتور المرحوم حسن محمد نور الدين أخًا وصديقاً.

أيها الفارسُ الذي قضى ولما يترجّلُ، الأخُ الصديقُ الزميلُ، المواسي، المعطاءُ، المحبُ، المفاني، البهيُ الطلعةُ، الحسنُ الشمائلُ.

أراكَ في الرؤيا أو في الحلمِ:

تقوُدُ سيارَتك في طريقك أنت وفاطمةُ إلى الجامعة. في منتصف الطريق، ترى امرأةً تحمل كشكولاً، تستجدي المارة:

- من يهبني درهماً صبراً؟

تقول لفاطمة، أليست هذه دلال؟ فلنقلّها معنا كدأبنا، ربما تنتظر مني قصيدةً ترثي حسنها. المسكينةُ ما كان حدّيّتها إلا عنه.

- ولن يكونَ.

تستقلُ المرأةُ السيارة، تنزوّي في المقعد الخلفيّ:

- دلال كيف هو جرّحُك؟

- إنه يزداد تقرّحاً، ولا دواء له.

- تصبرّي، اشغلي نفسك بالصلاحة، بالكتابة، بالتعليم. أما كنتِ تقولين إنك في غرفةِ الصفّ تنسين ما في خارجها؟

- هذه المرة لا، لم يعد لأيّ شيء طعم ولا مذاق، فالوجع وصلَ إلى الذروة، والمسكّناتُ آنيّة، والجرحُ لا التئام له.

تنفجر فاطمةُ في وجهك:

- تنصّحُها؟ لم تركتني أنتَ من دون سابق إنذار؟ وهل تظنُ أن حرافي أنا يمكنها أن تلشم؟

تمسّد شعرها الفاحم براحة يدك: حبيبي، لقد أنجزتُ ما عليّ في هذه الحياة، المرّ، أنا هنا أكثرُ سعادةً وطمأنينةً.

- أَفَصَرْتُ فِي الْحَبْ؟ فِي الْكَرْمِ؟ فِي الْابْسَامِ؟ فِي الْإِغَاثَةِ؟

- أَلَمْ أَجْمَعْ كَلْمَاتِي وَحْرَوْفِي وَأَجْعَلَهَا وَرْقًا، كِتَابًا، يُنْتَفَعُ بِهَا؟

- أَلَمْ أَكُنْ أَبَّا غَيْرَ كُلِّ الْآبَاءِ، وَخَلَفُهُمْ وَرَأْيِي ذُرِيَّةٌ صَالِحةٌ؟

- أَلَيْسُوا عَزَاءً لِكَ؟

- وَاللَّهُ أَنَا سَعِيدٌ هُنَا، فَمَا قَصَرْتُ وَمَا تَوَانَيْتُ، وَفَؤَادِي لَمْ يَتَصَدَّعْ.

أَمّا دلال فليت الذي تبكيه كان هو من يبكيها، ويوزّع فخورًا كتبها صدقةً، ثم ينجزُ هو كتابه الذي تركه قبل أن يكتمل.

دلال عباس

النبطية في 4 أيار 2012.